علاقة الشخصية بالمكان
قراءة في رواية بعد رحيل الصمت

علاء كاظم ربع الموسوي
جامعة ميسان كلية التربية الاساسية
alaa.kadhim@uomisan.edu.iq

المستخلص:

تحدثت الرواية عن مجموعة من الأطفال يعيشون في محلة واحدة وفي مدرسة واحدة، يتشاركون اللعب والروابط الأسرية، يكبر الأطفال وتنمو اعتقاداتهم الفكرية والعقلية. يعاصرون الظلم والتعسف والتهميش من الحكام آنذاك، يلتقون بشخصية الأستاذ وتشدهم علاقة حميمة فيزرع فيهم حب الوطن ومقاومة الظلم، ينضمون إلى إحدى حركات المقاومة ضد الحكم البعثي في تلك المرحلة، تسجل الرواية احداثا مختلفة في اماكن متعددة وشخصيات مختلفة. والمكان هنا مجموعة ازقة واحياء واقعة في مدينة العمارة الموجودة في جنوب العراق، وفيها جرت احداث الرواية، إن تنقل الشخصيات في أماكن مختلفة أدى لتحول بعض الأماكن المفتوحة الى ساحة صراع وأصبحت وكأنها مغلقة وموحشة بسبب تغير اوضاع الشخصيات من العبثية الى الالتزام وتمردها على السلطة الجائرة والثورة عليها.

الكلمات الدالة: المكان والشخصية، جدلية الصمت، رحيل الصمت، علاقة الشخصية بالمكان.

The Relationship between the Character and Place in the Novel " Ba'd Raheel Alsamt"

Alaa Kadhim Rupa
The scientific title: assistant instructor
alaa.kadhim@uomisan.edu.iq

Abstract:

The novel tells the story of a group of children living in the same neighborhood and in the same school, sharing toys and family ties. As they are getting older , their intellectual and mental beliefs grow up. They suffer from injustice , abusiveness and marginalization of their rulers. They meet a teacher and they have an intimate relationship. He implants in them the love of the homeland and resistance to injustice. They join one of the resistance movements against the Ba'athist rule at that time The novel records different events in different places and different characters. The place is a group of alleys and neighborhoods of Amarah (i.e., a town in the southern Iraq) where the events of the novel take place. The movement of characters in different places leads to the transformation of some open spaces into a battlefield and become as if they are closed and lonely due to the change in the conditions of the characters from absurdity to commitment and their rebellion against the unjust authority and the revolution against it.

Keywords: character and place , dialectic of silence, departure of silence, relationship between the character and place.

المقدمة

لقد حظيت دلالة الصمت بنصيب وافر لدى الأدباء وتدبروها في الخطاب الأدبي عموماً، وفي الخطاب السردي بشكل أخص، ولذلك باتت جدلية

الصمت تشكل هاجساً لدى الروائيين، لكونها تعد عملية تخاطب واعية تساوي أو تفوق الكلام، ولذلك شهدت الأعمال الروائية بوساطة دلالة الصمت أساليب وتقنيات جديدة للكتابة، وضمن هذا النوع من الكتابة تندرج رواية (بعد رحيل الصمت) للروائي (عبد الرضا صالح محمد)، فالرواية غنية من حيث الدلالات التي يمنحها للمتلقي، إذ توجد ترابطات دلالية بين الصمت وما تقوله الرواية، وهذا الترابط مرهون بالأحداث، فالرواية تؤكد على ثقافة الحظر، وتكشف عما يخبئه المجتمع العراقي من حمولات سرية، انطلقت من مسارات متناقضة، وهذا الأمر هو جزء من الوسائل التعبيرية التي اعتمدتها الرواية، بوساطة التركيز في الوقائع اليومية التي تحف بحياة الناس، ومما لا شك فيه أن تلك الوقائع ذات إشكالية حافلة بالمتناقضات، مما تحفز القارئ على رصد جدلية الصمت بوساطة تناقضات الواقع اليومي، ولا مناص من الاعتراف بأن الرواية تستمد أهميتها من تشابك الأحداث، وتنوع الوقائع التي اتخذت من جدلية الصمت منطلقاً للمفارقة، وبذلك فأن الروائي يدعو القارئ للمساهمة بإكمال المعنى الذي تحاول الرواية التأكيد عليه واستقطابه، لغرض تطوير وإغناء الكون السردي، ويبقى المتن السردي المادة الخام التي تتشكل على وفق رؤيته، محاولاً الإحاطة بجوانب كثيرة من الشخصيات وعلاقتها بالمكان، فالأحداث تتراكم ولذلك يحاول الروائي من خلال الصمت تفسير ما حدث.

نركز في بحثنا وانطلاقًا -من جدلية الصمت والرحيل في الرواية- على علاقة الشخصيات بالمكان، تلك العلاقة التي كانت حميمية في بعضها ومتأزمة في بعضها الآخر، وغالبًا ما يهيمن الصمت والرحيل على تلك العلاقة.

فلم تستطع الشخصيات الخروج من الصمت إلا بعد زوال القيود التي كبلتها، وجعلت من علاقتها بالمكان علاقة تتسم بالحذر والخوف في غالب الاحيان، خاصة وأن تلك الأمكنة تأثرت بالشخصيات التي استولت عليها، وهذا ما سنعرضه في النصوص المختارة من الرواية.

سنبدأ بعرض عنصري الشخصية والمكان في السرد وتحليل الشواهد الخاصة بالمكان والشخصية، ومن ثم التعريج على العلاقة بينهما .

الشخصية والمكان في الرواية

الشخصية: هي كائنٌ موهوبٌ بصفاتٍ بشريةٍ وملتزمة بأحداثٍ بشريةٍ ، والشخصية تعد عنصراً مهماً من عناصر البناء في الرواية؛ لأنها تصور الواقع عن طريق حركتها المستمرة مع غيرها ، وتعد كذلك العنصر الاساس الذي يؤدي الأعمال الروائية ، والعمل الروائي مبني على خلق الشخصيات (١).

والشخصية مثلما يبين (تودوروف) لا وجود لها خارج الكلمات فهي كائنات ورقية، ويشير الى ان الشخصيات تمثل الاشخاص فعلا لكن ذلك يتم طبقا لصياغات خاصة بالتخييل (٢).

وتظهر اهمية الشخصية من طريق ارتباطها بالأحداث، وتوجيه الشخصيات مهمة الروائي عن طريق سيطرته عليها ، وهو لا يكتفي بوصف الشخصيات من الخارج وانما يدخل الى داخل الشخصية ويصور نفسياتها فيعطي لمسات إنسانية رقيقة ومشاهد فنية مؤثرة (٣).

ويشير (إ.م فورستر) إلى أنه يمكن تقسيم الشخصيات على نوعين: مسطحة ومغلقة فالمسطحة كانت تعرف بالهزلية واحيانا بالنموذج ، وللشخصية المسطحة فائدتان مثلما يرى (فورستر) الأولى وهما سهولة تمييزها عند ظهورها إذ تميزها عاطفة القارئ، والفائدة الثانية هي ان القارئ يتذكرها بسهولة وتبقى ثابتة في مخيلته، اما الشخصية المغلقة عنده فهي التي تتناسب والاداء التراجيدي وحده لأي فترة زمنية، وتتمكن من ان تحرك فينا اية حاسة ما عدا الضحك والموافقة(٤) .

وللشخصية وظائف عدة فهي كالشخصية المسرحية يمكن ان تؤدي وظائف متنوعة في العالم الخيالي الذي يخلقه الروائي فيمكن ان تكون متناوبة ، او عنصرا تزويقيا ، او قائما بالحدث ، او الناطق بلسان المؤلف او كائنا بشريا خياليا،(٥) فالشخصية لها القدرة على تقمص الادوار التي يحملها ايها الروائي .

ويرى (رولان بورنوف) ان الشخصية تقدم بأربع طرائق: بواسطة نفسها، او بواسطة شخصية اخرى، او بواسطة راو يكون خارج الرواية ،او بواسطة نفسها والشخصيات الاخرى والراوي (٦).

إن تسمية الشخصيات تخضع في الغالب لمقصدية المؤلف، ومن الواضح أنه ليس هناك ما يجبر الروائي

www.misan-jas.com (Arabic Impact Factor) - 1.1 ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

على وضع اسماء شخصية لأبطاله، فهو يمكنه ان يلقبهم بألقاب (الأستاذ) كما جاء في رواية (بعد رحيل الصمت) او يعينهم بألفاظ القرابة (الأب، العم ، الجد ...)(٧) أو ينسبهم إلى بلدانهم أو القاب العشائر أو يطلق عليهم ألقابا تتصف بالعاهات الجسمانية (كالأعور والاعرج ...) أو حتى يسميهم بالضمائر أو أسماء من خياله.

تربط الشخصيات الروائية شبكة من العلاقات تفرضها طبيعتها وأثرها المرسوم ، فقد تكون تلك العلاقات ايجابية أو سلبية تبعًا لحوافز معينة تحدد العلاقة كالحب والكره والتواصل والمساعدة .

إن وصف الشخصية يأتي لبيان أحقية العلاقات بين المكان والشخصيات ، ويختلف الوصف في الرواية حسب نوعها، فوصف الشخصيات في الرواية الواقعية يختلف عن وصفها في الرواية الجديدة ، ويدرس وصف الشخصية من اتجاهين الأول وصف الابعاد الخارجية ، والثاني وصف الابعاد الداخلية أو سيكولوجية الشخصية ، وكذلك للشخصية أهمية أخرى، إذ أنها تعبر عن هموم الكاتب تجاه مجتمعه، هذه الهموم التي تؤلمه حين يعبر عنها بوساطة وصف المجتمع وكيف تعيش شخصياته في همومها،(٨).

وصف الابعاد الخارجية لشخصيات الرواية

لقد أهتمت الرواية بتحديد الأبعاد الخارجية للشخصيات، كالمنظر الخارجي والعمر والعلاقات الخارجية والهواية والمهنة، وأن وصف الابعاد الخارجية يعد أحد الأركان الاساس للتشخيص وتقديم صورة كاملة عن الشخصية ، من هنا نرى أن رواية (**بعد رحيل الصمت**) اهتمت بهذا الوصف لتوضيح معالم الشخصيات وتوضح علاقة الشخصية بالمكان، (**وعلى الرغم من أن أحمد كان قصيرا وضعيف البنية الا انه كان جريئا يندفع بقوة واقدام دون خوف او وجل)(٩)**

أعتمد الروائي على الوصف الخارجي للشخصية (**كان داود الاخ الاكبر لأحمد ، وكان يسبقه بالعمر خمسة اعوام ، وهو شاب متوسط في الطول اسمر البشرة يصفف شعره الى الخلف**)(١٠)، ويستمر الروائي في الكشف عن شخصياته عن طريق الوصف (**كانت تتشبه بالأولاد في بداية عمرها ، تلبس ملابس الاولاد وتقص شعرها مثلهم تعبر النهر وتلعب الكرة معهم ، وهم لا يعلمون انها صبية الا بعد مضي اعوام**) .(١١)

لقد جعل من شخصية (كريمة) شخصية نامية في الرواية فيعمد الروائي إلى أن يعطيها وصفًا دقيقًا؛ كي يضفي على الرواية جوًا مشوقًا ويكون لها وظيفة في أحداث الرواية، (**انشغل ايوب بها تلك الليلة ولأول مرة اكتشف جمالها (...) فان لها وجها مدورا وعينين واسعتين، وانفًا دقيقًا وشفاها ممتلئة وجبهة عريضة وطولا معتدلا وبشرة حنطية صافية**)(١٢) ويستمر بوصف الشخصيات ومنها شخصية (هيفاء)، (**تراءى له شبحها وهي تتخطى العربة تبحث عن شيء ، هيفاء ترتدي معطفا بنيا طويلا شدت شعرها من الخلف بشكالة بلاستيكية لتطلقة على كتفيها كسنابل ذهبية**"(١٣) ، أتخذ الروائي من وصف الشخصيات منطلقا لمعرفة كل شخصية، فشخصية مادلين القادمة من لبنان إلى العراق كانت تبحث عن زوجها المفقود، فالوصف يجعل القارئ يرى تلك الشخصية ويتعرف إليها، وعن دورها في تطور أحداث الرواية (**كانت السيدة مادلين (...) امرأة ناضجة دافئة طويلة ، ترتدي معطفًا طويلًا من الصوف الفاخر بني اللون ...لا تظهر عليها امارات الكبر تعدها في الثلاثين او اكثر قليلا**)(١٤) ، ينتقل الروائي لوصف شخصية اخرى لها تأثير على سير الاحداث في الرواية، فيعرض شخصية (**الاستاذ**) التي كانت السبب في تحول المجموعة من العبثية إلى الالتزام " **لم يكن معروفا بينهم (...)كان طويلا وسيما انيقا حلو الحديث محبوبا كثير المجاملة**"(١٥).

وحتى شخصية التاجر المسيحي كان لابد للروائي بوساطة الراوي العليم أن يعمد إلى وصفه لتمييزه عن سائر الشخصيات وكيف استطاع أن يؤثر بتلك الفتاة اللبنانية ويكسب حبها وودها (**كان وسط القامة له عينان صفراوا اللون اشقر الشعر وسيما ..**)(١٦).

ويعمد الراوي إلى وصف بعض الشخصيات ممن تكون لها مهمة الحركة والتنقل الكثيرة لتمييزها عن سائر الشخصيات التي تتصف بالخمول أو الاقل حركة (**كان يونس طاقة متحركة كالبندول لا يهدأ ابدا على الرغم من ضعف جسده ... انهى الاعدادية ليصبح مرشدا زراعيا**)(١٧) وبسبب طاقة وحركة شخصية يونس

www.misan-jas.com (Arabic Impact Factor) - 1.1 ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

استطاع أن ينجو ويصل لبر الامان (**لف رأسه بكوفية مرقطة بنقوش لوزية سوداء ، وضرب هندر دراجته بقدمه فراح محركها يدور ..انطلق كالسهم المحرر من قوسه ..)**(١٨).

ولكل شخصية وصفها الذي يدل على أنها ستؤدي حدثًا معينًا لها، فالفتاة الكردية ذات السبعة عشر عاما لم يأتِ وصفها اعتباطا؛ بل كان وجودها في الرواية دليلًا على حدث (**وبعد لحظة خرجت له فتاة تقارب السبعة عشر عاما ووجهها البيضاوي وعينيها الصفراويتان اللتان تشبهان عيني نديم ، لثوب حريري ابيض وزعت على مساحة منه ورود برتقالية اللون ...)**(١٩).

وقد تتغير أوصاف الشخصية نتيجة لتغير الاحداث وتأثير المكان عليها فأن الشخصية التي تسجن وتعذب يتغير شكلها عما كانت عليه من وسامة وقوة فنراه اختار شخصية ايوب الصالح ليصفها (**تفاجأت حينما راته توقعت ان تراه بهيئته القديمة التي ارتسمت في مخيلتها شابا وسيما هادئا انما رأت هيكلا عظميا قد خرج توا من القبر ..)** (٢٠)

إن وصف الجانب الخارجي للشخصية مهم جداً؛ لأنه يساعد المتلقي على معرفة الشخصية، واكتشاف مكانتها الاجتماعية من طريق الملبس والصفات الخارجية، وكذلك حركات الشخصية، فذات البدانة تختلف تماماً عن حركات الشخصية النحيفة، وسلوك الشخصية دميمة المنظر تختلف عن سلوك شخصية تتحلى بالوسامة.

وصف الابعاد الداخلية للشخصيات

إن وصف عالم الشخصية الداخلي هو وصف للبعد النفسي لها، فيعدّ البناء الداخلي للشخصية جزءا من هوية الشخصية وما تعتريه من امراض نفسية، تكشف الشخصية عن جوهرها بوساطة الاحداث أو الحوار أو الوصف، وللمكان تأثير كبير في تأزم الحالة النفسية للشخصية أو أن يكون السبب في انفراج الازمة .

ولقد اهتم الروائي بالمحتوى النفسي للشخصيات وذلك بالدخول إلى أعماق الشخصية والكشف عن مكنوناتها وسلوكياتها، واهتم بالجانب الفكري والذهني ليكون الوسيلة لجعل الشخصية مليئة بالحياة ،(**لم يكن داود في بداية حياته ملتزما دينيا بل على العكس كان يتمتع بحياته حسب ما يراه منسجما مع ميوله ورغباته)**(٢١)، فيصف الحالة الاجتماعية وسلوكه الداخلي.

وقد تتأثر الشخصية بسبب انتمائها إلى جماعة أو حزب، ويترك هذا الانتماء تأثيرًا على السلوك الداخلي للشخصية (**لم يكن محمود وابوه المدعو حنون من السياسيين ، ولا من المناوئين ولا من العملاء ...كانا مواطنين صالحين لا يعرفان سوى العمل ...)**(٢٢).

ويعمد الروائي لوصف الحالة التي تعيشها الشخصية من حب أو قلق، والحالة التي تعتريها من عدم النوم والتفكير الكثير وهذا الوصف يساهم في الكشف الحالة النفسية للشخصية (**لقد سلب النوم من عينيها اكتشفت لأول مرة انها ليست كعادتها ..تتخيل طوله وطريقة حديثه وصفاء روحه)**، ونجد أن الروائي قد يعمد لوصف شخصيات الرواية كلا بحسب صفته وعمله وحالته الاجتماعية والنفسية فقد (**كان يحيى في صباه وسيما هادئ الطبع محبوبا كثير التعرف على الفتيات وفي الحقيقة كن هن اللواتي يتعرفن عليه لجماله واناقته (...) وعلى الرغم من هدوءه كان اذا غضب يخرج عن طوره الاعتيادي وتعتريه حالة هستيرية**)(٢٣) .

إن لوصف الشخصيات لنفسياتهم بدقة وما في اذهانهم له اهمية كبيرة لكشف العالم الداخلي لتلك الشخصيات، فلقد اقتحم خصوصية شخصياته وفتح أذهانهم للقراء .

تقديم الشخصيات

وتعني الوسائل الفنية التي يهدف الراوي بوساطتها إلى تعريف المتلقي بشخصياته فالروائي يستطيع أن يخلق شخصياته عبر عدة وسائل ومنها تقديم الشخصية لنفسها بوساطة الغير، او بوساطة راوٍ يكون خارج الرواية ، او بوساطة الشخصية ذاتها والشخصيات الاخرى، وهذه اربع وسائل يتم تقديم الشخصية الروائية بها .

يغلب على رواية بعد رحيل الصمت بأن تقديم الشخصية يكون بوساطة الراوي العليم، فهو الذي يقدم شخصياته ويصف حالاتها النفسية، ويقدم الابعاد الخارجية والنفسية، ويأتي تقديمه لشخصيات روايته بطريقة اخبارية تقريرية مباشرة (**بعد ان ودعه ايوب الصالح في اليوم الماضي عاد رياض الاديب اليه في اليوم الثاني على اثر المواعدة بينهما)**(٢٤) .

www.misan-jas.com (Arabic Impact Factor) - 1.1 ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

واحيانا يعطي الروائي الحرية للشخصية لتقديم نفسها عن طريق الحوار، وعبر صوت وحيد أو عبر أحد الضمائر "المتكلم"، أو "الغائب"، السارد، أو المحكي عنه وهذا يندر في تلك الرواية (**انطلقت تتحدث عن نفسها بصيغة الغائب كما لو تتحدث عن كريمة غيرها ، انت تعرف كريمة جيدا انها روح جبلت من اديم مختلف عن اديم الاخرين، ... انها فراشة حقول تنتقل من زهرة الى اخرى ... تستنشق الرحيق وتتذوق الندى على طول النهار ومتى ما جن الليل كلكلت رحالها على غصن طري ونامت مع همومها..)(٢٥).**

وقد لجأ إلى أن يجعل احدى شخصياته راوية لأحداث محددة من الرواية وذلك لتنويع تقنية تقديم الشخصية (**بدأ ايوب يتحدث بصوت هادئ تسوده سحنة من الحزن... لا اعرف من اين ابدا يا استاذ ، كان الناس امة واحدة ، فتفرقوا شيعا ، واصولا وقوميات وطوائف وقبائل واحزابا وافرادا لا يجمعها اي شيء ، كل له فلسفته وكل يرى الاشياء كما يراها من شاشة معتقداته فقط)(٢٦).**

ونرى أن هذه الرواية على الرغم من اعتمادها على الراوي العليم، إلا أنها تتميز بتقنية تعدد الاصوات، ويعني تعدد الشخصيات المتحاورة داخل الرواية، وتعدد وجهات النظر، بمعنى أنها رواية حوارية تعددية، تتحرر بشكل من الأشكال من السلطة المهيمنة للراوي العليم ، وتتحرر كذلك من النظرة الاحادية واللغة والأسلوب.

بناء الشخصية

ركز الروائي في بنائه لشخصيات الرواية على النمو والتطور التدريجي، فنجد هذه الشخصية التي كان لها حضورها في الرواية وتطورها مع أحداث الرواية ، فشخصية (كريمة) كانت من اكثر الشخصيات تطورًا مع الاحداث منذ أن كانت تتشبه بالأولاد حتى أصبحت فتاة أغرم بها كل من (ابراهيم وايوب)، (**كانت تتشبه بالأولاد وتقص شعرها مثلهم ، تعبر النهر وتلعب الكرة معهم ، وهو لا يعلمون انها صبية الا بعد مضي اعوام !، ...قالت موضحة الامر له بتأن كنت كريم واصبحت كريمة ! انا فتاة منذ كنا نلعب سوية على الجزرة!..)(٢٧)**

ومن ثم ذهبت لتكون شاعرة(ملاية) تدور في الفواتح إلى أن تقف وتتحدى السلطات وتذهب بعدها شهيدة، **(بعد حادثة صلاة الجمعة سمعت كريمة باستشهاد يحيى حضرت مسرعة ووقفت في راس الزقاق فلم تجد عزاءه ، ...صرخت بأعلى صوتها وشقت زيقها ولطمت صدرها ... واحدثت عزاء لا مثيل له خرجت النساء من البيوت حاسرات باكيات لاطمات (...) تجمع رجال الحزب وانهالوا عليهن بالعصي والهراوات حتى تفرقن وبقيت كريمة متمددة على الارض لوحدها سحبوها من ضفائرها ..نقلت للمستشفى وبعد ساعة انتقلت الى جوار رحمة بارئها)(٢٨)**

ويأتي بناء شخصيات الرواية بطريقة الشخصية النامية او المستديرة الدرامية التي تثير في المتلقي الدهشة وهي التي لا يمكن التعبير عنها بجملة واحدة كما هو الحال بالنسبة للشخصيات المسطحة .

إن أغلب شخصيات الرواية هي مستديرة، اهتم الروائي برسمها من حيث الابعاد الخارجية والداخلية، واعطاها الاسم، والعمر، والوظيفة، والحالة الاجتماعية، وهي الشخصيات الرئيسة في الرواية، التي تقع على عاتقها تقديم الحدث وتطوره، وهي التي تشغل معظم السرد، وتمتاز شخصيات الرواية بكونها جذابة ومعشوقة ومحبوبة، كما لها ميل للسيطرة والاستحواذ على الاخرين .

وتكثر بالرواية الشخصيات الهامشية التي لا ماضي لها، ولم يسند الكاتب لها أي دور، بحيث يمر الراوي عليها مرورا سريعا، فهي لا تحمل أسما يحدد هويتها وقد تحمل صفة تدل عليها، وهذه الشخصيات لا تحمل عمقا نفسيا .

يمكن القول أن الشخصية الروائية ليست واقعية، بل خيالية ينسجها المؤلف لغاية فنية، ليست الشخصية سوى قضية لسانية يجردها الكاتب من محتواها الدلالي، ليسند إليها الوظيفة النحوية ويجعلها الفاعل في العبارة السردية (٢٩).

المكان الروائي:

إن للإنسان صلة وثيقة بالمكان وأبعادا عميقة، والعلاقة جدلية بينهما ؛ فكل ما في الكون من حركة مقترن بالمكان، بل من الاستحالة أن تتصور الوجود الإنساني من دون مكان، فالمكان جزء أساس من

www.misan-jas.com (Arabic Impact Factor) - 1.1 ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

الموجودات ، ويمكن القول : إنه ما من قرين للتجربة الإنسانية كالمكان(٣٠).

وقد يكتسب المكان سمات الشخصية الحية ويتم تحديد ادوار الشخصية بمدى عمق ارتباطها بالمكان، وقد يضفي الكاتب على المكان صفات خيالية على خصائصه الفعلية ، وقد يخلع المبدع على المكان الواقعي صفات المتخيل او الاسطوري او الخرافي ، ويبنى المكان على اساس من التخيل المحض لكنه لا يكتسب ملامحه و اهميته بل وديمومته إذا لم يمتثل بدرجة او بأخرى مع العالم الحقيقي خارج النص، فالمكان يوصل الاحساس بمغزى الحياة ويضاعف التأكيد على تواصلها وامتداداتها(٣١).

إن وصف الامكنة والاشياء لا يقل أهمية عن سرد الاحداث والافعال ، فأن الاحساس بالمكان لدى الروائي يفترض ان يترك انطباعا واحساسا بنكهة المكان لدى المتلقي، وان يفرض المراقبة على الشخصية في حركتها وتأدية عملها وفي عيشها في حياتها، وان يجعل الشخصية ترى ما يراه من وجهة نظرها وان يحس الكاتب بما تحس به الشخصية اتجاه المكان(٣٢). ومن وصف الامكنة نتعرف على تقسيمات الامكنة وانواعها.

أنواع الامكنة و تقسيماتها:

تتعدد انواع الامكنة وتقسيماتها بحسب طبيعة المكان واختلاف وجهات النظر إليه ، فالمكان الواحد يمكن أن يكون أماكن متعددة بسبب ذلك الاختلاف.

وقد اختلف النقاد والباحثون في تحديد أنواع المكان كاختلافهم في مسميات هذه الانواع، والاختلاف في تحديد المنطلقات لأنواع المكان(٣٣).

فقسم ارسطوطاليس المكان إلى قسمين عام وخاص، فالعام هو الذي فيه الاجسام كلها ، والخاص وهو أول ما فيه الشيء .. وهو الذي يحويك وحدك لا اكثر منك (٣٤)

ويقول غاستون باشلار: " إن المكان الذي ينجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكانًا لامباليًا ، ذا أبعاد هندسية وحسب ، فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط ، بل بكل ما في الخيال من تحيز، أننا ننجذب نحوه لأنه يكثف الوجود في حدود تتسم بالحماية(٣٥).

واستطاع بعض النقاد تعيين أنواع مختلفة للمكان من تحديد ثلاثة أطر مكانية فالمكان الأول يمثل البيئة التي نشأت فيها الشخصية، والثاني يمثل حالة وسطى بين المكانين وهو مكان طارئ وجدت فيه الشخصية لمدة ما، أما المكان الاخير فهو مكان استوعب الاحداث الاخيرة لذلك العمل الروائي(٣٦) .

وقد حدد مول ورومير أربعة انواع من :

١- مكان امارس فيه سلطتي ويكون بالنسبة لي مكانا حميما اليفًا .

٢- مكان اخضع فيه لوطأة سلطة الآخر ولكنني لا اعترف بهذه السلطة .

٣- اماكن ليست ملكا لاحد معين ولكنها ملك للسلطة العامة وهناك شخص يمارس سلطته عليها.

٤- المكان اللا متناهي ويكون خاليا من الناس وهو الارض التي لا تخضع لسلطة احد(٣٧) .

وقسّم غالب هلسا المكان إلى ثلاثة أنواع رئيسية : (المكان المجازي والهندسي والمكان لتجربة معاشة) ؛ فالمكان الأول يرتبط بالشخصية ولكن لا يمثل شيئاً على أرض الواقع ، والمكان الثاني يرتبط بالكاتب نفسه ، فيصف أجزاءه بدقة وجمالية لكي يؤثر من خلاله على المتلقي ، أما المكان الثالث فيرتبط مع الحدث(٣٨) .

وقسّم ياسين النصير المكان إلى مكان مفترض وموضوعي ومكان ذي البعد الواحد(٣٩) ؛ وقسمه الدكتور شجاع مسلم العاني الى المكان الهندسي والتاريخي والاليف والمكان المعادي(٤٠) .

وقد أضاف الدكتور (رحيم جمعة) المكان الاسطوري وقد جاء التقسيم الأخير نتيجة لدراسة (ملحمة كلكامش) بوصفها نموذج تطبيقي(٤١)، ويرى الدكتور (وليد شاكر) إن المكان الاسطوري تتضح أبعاده من ارتباطه بمحورين الأول الفكر الإنساني البدائي ومنطقه لفهم العالم المحيط به ، والثاني الكاتب أو الشاعر والمعتقدات الدينية وأثرها في أضفاء الخوارق والاسطورة على المكان(٤٢).

ويميز (حسن بحراوي) بين أمكنة الإقامة وأمكنة الانتقال ويشير للتضاد بين أماكن الإقامة الاختيارية والاجبارية فالاختياري المنزل مقابل الاجبارية السجن ، وأماكن الانتقال التي تكون مسرحًا لحركة الشخصيات فالأماكن الثابتة مثل الشوارع والأحياء والمحطات والمقاهي(...) وأطلق عليها العامة والخاصة ، وهذا التقاطب أنشأ لنا ثنائيات ترتبط بكل طرف لتشكل امتدادا طبيعيا لتتسع دلالة المكان وتنشأ لنا أرضية لتحليل بنية المكان(٤٣).

www.misan-jas.com (Arabic Impact Factor) - 1.1 ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

سنقف عند بنيتين مكانيتين (الأليف والمعادي) ونحلل بعض المشاهد التي تعطي دلالة لهاتين البنيتين وللوقوف على كيفية اعتماد الكاتب لهذه البنيات والإشارة إلى الأمكنة المفتوحة والمغلقة وسيركز على الأماكن الرئيسة في الرواية مع المرور بالأماكن الثانوية على سبيل الذكر .

المكان الاليف والمعادي

المكان الاليف: هو المكان الذي يرتبط بشعورنا بالأمان فهو كل مكان تشعر فيه بالدفء ويحرك ذكرياتنا ويعد البيت واحدًا من أهم البنيات التي تألفها الشخصية واشدها التصاقًا بخيالها ، فيرد المكان الاليف في رواية (بعد رحيل الصمت) في عدة اماكن منها (**المسجد ، البيت ، الزقاق ، المدينة ، السوق الكبير ، شارع الكورنيش)** ويأتي الزقاق القريب من المكان الأليف (مسجد ملا رجي) المتوسط الزقاق المؤدي إلى شارع الكورنيش هو المكان الأليف بالنسبة لشخصيات رواية بعد رحيل الصمت فيقول الروائي: (**مضى الى جانب البيوت المشيدة بالآجر القديم التي تجود ظلالها الوارف على مشارف الزقاق (...) ، فالمكان دائما ما يوحي للقادم من بعيد بماهية الناس وصفتهم وصورهم (...) فهذه الجدران ماهي الا صناديق تحتضن كنوزا من القيم التي عاشت بها وارث صورته السنين والايام...)**(٤٤) وورد وصف المكان ليحدد المستوى الاجتماعي للمدينة والشخصيات .

كما يتناول المسجد (مسجد ملا رجي) بوصفه بنية مكانية من الأماكن المألوفة التي يغلب عليها طابع التراث والأصالة، وايضًا بوصف المسجد مكانًا للعلم والاخلاق والثورة ضد المفسدين والطغاة ، **(مسجد ملا رجي الذي يقبع هناك كتلة جاثية واطلالا هامدة لم يبق منه سوى ساحة للصلاة تتوسطها نخلة باسقة ، يعود بناؤه الى زمن الاتراك حيث شيد للصلاة وتعليم الصبيان على حفظ القران الكريم حيث كان الشيخ الورع ملا رجي يجمع اطفال المدينة فيه ليعلمهم القراءة والكتابة وحفظ القران الكريم)**(٤٥).

وعلى الرغم من قدم هذا المسجد إلا انه بقي محافظًا على أصالته ليتحول فيما بعد إلى نقطة الانطلاق نحو محاربة الظلم ، ومن ثم يعمد الروائي إلى وصف بيوت الزقاق أو المحلة التي اصبحت محلاً للأحداث، بوصفها بنية مكانية أليفة فيقول: **(كانت البيوت واحدة تتسع لكل الاسر تعيش كأنها اسرة واحدة، يتشاركون الافراح والهموم والطعام والشراب)**(٤٦).

فهذه البيوت هي أماكن وجود الشخصيات في الرواية وكانت جميعها مألوفة لهم ، ومن الاماكن المألوفة ايضًا (شارع بغداد) الذي يقع في قلب مدينة العمارة وهو الشارع التجاري والتراثي، كانت تجرى فيه الاستعراضات والاحتفالات في المناسبات السياسية ومن ضمنها الاحتفال بثورة الجمهورية (**يرى زهو شارع بغداد بالأطواق - الشارع الرئيسي – في مدينة العمارة ، فكل جماعة تنصب طوقا : طاق محلة السراي ، طاق محلة المحمودية ، واخر للماجدية وكذلك للصابئة طاق ...)**(٤٧).

فجميع تلك المحلات والازقة والشوارع هي بنية مكانية أليفة تعطي طابع التعايش، وهي من تلك الامكنة التي تؤثر في الشخصيات الروائية، ويأتي الروائي على ذكر أمكنة بعيدة عن المكان الذي ترتكز عليه الرواية، فها هو ينتقل إلى لبنان حيث الأحداث التي غيرت مسار الحدث الروائي ، فيذكر الفندق الذي يسكن فيه (نديم) ويلتقي بمادلين والفندق وأسواق لبنان من الاماكن الأليفة (**مضيا معا صوب السوق القريب من الفندق تحدثا قليلا بادئ الامر عن اجواء لبنان وجمال مدينة بيروت)**(٤٨).

ويأتي على ذكر الفندق ووصفه الذي يشهد احداثًا لها ارتباط بالحدث العام للرواية وشخصياتها (**كان الاوتيل يتألف من عدة طوابق ويقع على شاطئ البحر بمحاذاة الفنادق التي يتقدمها شارع الكورنيش ..)**(٤٩).

وهناك كثير من الأماكن الأليفة التي ترد في الرواية، من مثل بيت نديم في منطقة (البتاوين) ومناطق متعددة في بغداد كان (نديم ومادلين) يرتادانها، وكذلك الاماكن في (شقلاوه) والمصايف التي لم تكن مألوفة لنديم بسبب ما يمر به من مضايقات السلطة، لكنها مكان أليف لمن معه (السيد بهنام وابنته اخلاص) التي لا تعرف عن نديم شيئًا (**كان بيت العم بهنام قد بني على الطراز الحديث، وهو يتكون من طابقين يتوسطه رتاج فخم من خشب الساج نثرت عليه زخارف نباتيه وهندسية)**(٥٠).

www.misan-jas.com (Arabic Impact Factor) - 1.1 ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

وقد يستوطن الإنسان في مكان ويعده مكانًا مناسبًا له كما هو الحال في شخصية (الاستاذ) الذي هاجر إلى مصر بعد أن صدرت الاوامر بإلقاء القبض عليه، ويلاحظ أن المكان في هذه الرواية يرد بصورة عرضية واثناء السرد بوصفها جزءا من الذاكرة ويساعد في بناء الصورة السردية وايهام القارئ .

وسنأتي على ذكر الأماكن التي تحولت بنيتها من المألوفة إلى المعادية وسنأخذ تلك البنيتين المكانيتين ونضمنها بباقي البنيات الاخرى .

المكان المعادي :

كل مكان تشعر فيه بعدم الأمان، والاحساس بالنفور، والكراهية، يكون مكانًا معاديًا، والمكان المعادي بوصفه بنية مكانية مثل (**السجن، المكان المهجور ، الدهليز**) المكان الذي تتعرض فيه الشخصية للاغتراب ايضًا يكون معاديًا ، وقد يتحول المكان الأليف إلى مُعادٍ بسبب المضايقات أو النفور الذي قد تكون أحد أسبابه سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، وقد جاء في الرواية الكثير من الأماكن التي تحولت بنيتها من أليفة إلى معادية، وقد تغلب على الرواية هذه البنية المكانية التحولية فنجد في هذا المشهد (**منذ أن خرج من ثانوية التحرير في محلة الماجدية بعد انتهاء الدوام عصرا شعر ان احدا ما يتتبعه وان هاجسا يدعوه الى تغيير طريقه**)(٥١) لقد اصبحت الاماكن مراقبة حتى المدرسة التي هي مكان العلم.

وقد تجبر الاحداث الشخصيات لتغيير محل اقامتها، فشخصية (الاستاذ) اضطر لمغادرة بلده، فيصف الروائي هذا البلد الذي تحول من مدينة السلام إلى مدينة الاشباح (**وفي الساعة الرابعة اقلعت الطائرة من مطار بغداد التابعة للخطوط الجوية المصرية ، ومن خلال نافذة الطائرة اطل بنظرته الاخيرة الى آفاق مدينة النور مودعا مدينة الاحلام والحب والاخاء التي زحفت عليها قوى الظلام والشر فاصبحت مدينة الاشباح والخوف والارهاب**)(٥٢) وهذا التحول جاء بسبب الشخصيات التي تنتمي للسلطة الدكتاتورية التي كثفت من مطاردتها واعتقالها لكثير من الشخصيات المناوئة لها والمطالبة بالحرية.

فنجد هذه الاماكن التي كانت مألوفة قد اصبحت توحي لهم بالحذر والترقب والخوف (**جئتك احذرك من البقاء في البيت هذه الايام ، ابتعد عنه الى مكان اخر ريثما تهدأ الاحوال ونرى ما سنفعل بعدها**)(٥٣)، فالشوارع والطرقات التي كانت اماكن مألوفة اصبحت مرتعا للوحوش البشرية، (**الكل في هذه المدينة يعرفوننا ولحسن الحظ ان الاستاذ افلت من مخالب الذئاب باعجوبة ... من يضمن حياته هذه الايام وقد نزلت وحوش الشر في الشوارع والطرقات والساحات مكشرة انيابها ...**)(٥٤).

ينتقل الروائي إلى مناطق مختلفة في روايته، أماكن واقعية واحداثًا حدثت في زمن ما، لم يسلم منها احد، ومن كل الطوائف، فحتى السوق اصبح مكانًا معاديًا (**ان ثمة اخبارا مخيفة تدور في السوق هذه الايام امر مخيف فقد اختفى بعض التجار من السوق فجأة دون مقدمات ..**)(٥٥).

إن الروائي أعاد وصف الاماكن التي كانت مألوفة في بداية روايته، وتحولت إلى معادية، فنجد المسجد الذي كان يمثل البنية المكانية الرمزية الدالة على الخير والاصلاح والتعليم، يتحول إلى مكان مخيف يجهز على كل من دخل إليه ، (**ذلك اليوم الذي خرج فيه يونس من المسجد فارا خائفا مترقبا مما رأى، كان هناك شخصان ممتدان على ارض المسجد موثوقان بحبل**)(٥٦).

ويتناول الروائي أماكن مفتوحة مثل الاهوار والانهار، إلا أن تناوله لم يأتِ كونها أماكن أليفة، بل تدخل ضمن البنية المكانية المعادية التي تتحول لأماكن تأوي الفارين، أو قد تكون ممرًا للهروب نحو المجهول (**ساروا في نهر الاعيوج الفرع المنحدر من نهر المعيل ، قاصدين منطقة البيضة ،... تناولوا وجبة الافطار في مضيف الحاج محيبس ثم توجهوا الى هور الخيضر بعد مرورهم (بيشن ابو ودعة وابو الذهب) الذين تنطلق منهما (شخاتير) حرس الاهوار لالقاء القبض على الفارين ..**)(٥٧). وقد أورد اسماء لاماكن أصبحت مأوى لكل من يناوئ السلطة الدكتاتورية مثل (الاعيوج، والمعيل، والبيضة، والهور) وهي أماكن متعينة جرت فيها معارك طاحنة، حتى عمدت السلطة لتجفيف هذه الانهر والاهوار وحرق القصب للتضييق على

www.misan-jas.com (Arabic Impact Factor) - 1.1 ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

المعارضين، وكذلك يذكر أماكن مثل (اليشن) وهي أماكن تدخل بين الواقعية والعجائبية، فهي من حيث الواقع موجودة ولكن الاساطير حولها كثيرة ومنها انها أماكن يسكنها الجن، ولهذا كانت السلطات لا تقترب منها، وكانت تتخذ مقرا للمعارضة.

اصبحت البنيات المكانية في الرواية غير أليفة ومعادية لكثير من الشخصيات، بعد تغير مجرى الاحداث، حتى طلبة العلوم الدينية والاشخاص الذين يخرجون للمطالبة بحقوقهم عبر التظاهر السلمي **(دعا مدير امن النجف الضباط الى اجتماع مفاجئ ، وفي غضون دقائق حضر الجميع في غرفته الخاصة خلال ربع ساعة اتخذت قرارات بشأن القضاء على التظاهرة المنطلقة نحو الكوفة..)(٥٨)**

إن من يقرأ اسم مديرية (الامن) يتوقع منها مكانًا لتوفير الأمن والامان، لكنها على العكس تماما كانت هي التي تجعل الشخصيات يفرون خائفين بلا اي ذنب سوى مخالفتهم لرأي السلطة، فكانت هذه المديريات هي امنا للسلطة وقمعا للشعوب ويحيلها الروائي الى البنية المعادية بل شديدة العداء **(في مديرية الامن سالوا أحمد عن مكان اخيه فأجابهم بعدم معرفته له لأنه كان نائما وقت خروجه من البيت ، ثم سألوه عن الاماكن المحتملة لاختبائه ..)(٥٩).**

لقد اصبح الفرار من البيوت الآمنة سمة الرواية، وهذا يدل على تغير تلك البنية المكانية عن رموزها الدلالية التي كانت عليها، فالبيت بوصفه بنية مكانية هو مكان مألوف، ومكان يجمع الأهل وكل غرفة تحتوي على ذكريات الطفولة ، تحول إلى مكان يؤدي بساكنيه إلى المقصلة **(خرجا من البيت قاصدين منطقة المعيل وهناك استوقفتهم نقطة التفتيش وطلبوا منه هويته وسألوه عن وجهته)(٦٠)**

يأتي الروائي على ذكر السجن تلك البنية المكانية المغلقة والمعادية، لكن حتى تلك السجون لم تكن كالسجون التي تذكر في الروايات، بل هي محاجر وزنازين وغرف لا يعرف الليل منها أو النهار، وهذه المحاجر هي أماكن للتعذيب والقتل، فقد **(القي في غرفة مظلمة جلس على بلاطها لم يكن يهمه اي شيء في تلك اللحظة سوى سيجارة يدفئ بها احشاءه .. وتسلل بصيص من الضوء من حافات الباب الحديدي الموصد .. بانت معالم الغرفة وجدرانها الملطخة بالدماء ... علقت في سقفها حلقة حديدية يتدلى من جوفها حبل غليظ ..)(٦١).**

وقد جاء في الرواية على ذكر أماكن اخرى مثل المستشفيات ومحطات القطار والمطارات وبعض الاماكن المفتوحة والمغلقة اقتصرنا على ما ذكرناه من شواهد لكثرتها، ونستطيع القول بأن الرواية زاخرة بالبنية المكانية لاسيما تلك التي اسميتها **(البنية المكانية التحولية)** التي تحول المكان الأليف إلى معادٍ والمكان المفتوح إلى مغلق، وهذا التحول نتيجة تأثر المكان بالشخصيات، سواء كانت الشخصية ايجابية ام سلبية، فستترك انعكاسها على الاماكن.

علاقة المكان بالشخصية

إنّ المكان هو الوعاء للشخصيّة فهي تتحرك فيه، ولا يمكن لها أن تعيش خارجه، ففيه ولدت، ونشأت وترعرعت، وفيه تقضي حياتها وفيه تموت، فهو المكان الذي ستعيش به طيلة حياتها فهو ليس مكانا جامداً، بل هو كائن متفاعلٌ مع الشخصية يتأثر ويؤثر بها " فالمكان في حركة أخذ وعطاءٍ مع الشخصيات الروائيّة وأحداثها يتوجه بوجهتها، ويرتبط بحركتها، ويقدم بما يدفع أحداثها إلى الأمام دائماً" (٦٢). فنجد احد شخصيات الرواية **"تخطى الطريق الأسفلتي الذي تتوسطه ساقية الماء الاسن الفائض عن الحاجة، مشى مع الجدران التي تتوزع أبواب الخشب القديمة المزخرفة بنقوشها البسيطة، ورغم بساطتها فإنها تمنحك شعورا بأصالتها وإرثها الموفور، فالمكان دائما ما يوحي للقادم من بعيد ماهية الناس وصفتهم وصورهم، فهذه الجدران ما هي إلا صناديق تحتضن كنوزا من القيم التي عاشت بها، وإرث صورته السنين والأيام، من طيبة وبساطة وشهامة، ومن قلوب بيضاء لا يعكرها الوهن ولا اللغوب"(٦٣)**، فالنص يكشف عن علاقة المكان بالشخصية، فالأصالة والاحساس بالمكان هو علاقة نفسية بين الشخصية والمكان وارتباط روحي بينهما .

إنّ الشخصيّة والمكان في جدلية مستمرة فهي تؤثر به وهو يؤثر بها، "فبقدر ما يصوغ المكان الشخصيات والأحداث الروائيّة، يكون هو أيضاً من صياغتها، وإنّ البشر الفاعلين، صانعي الأحداث هم الذين أقاموه وحددوا سماته، وهم قادرون على تفسيره

www.misan-jas.com (Arabic Impact Factor) - 1.1 ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

فهم يتأثرون بالمكان الذي أوجدوه" (٦٤)، لقد صور لنا الروائي العديد من الشخصيات التي تتأثر بالمكان **"في هذا المكان ينتظران اصحابهما ليكونوا مجموعة تتألف من (يحيى إبراهيم ويونس وأحمد وكريم) يودعون ثيابهم عند اسس المسناية ويعبرون نهر الكحلاء إلى الضفة الأخرى، كان يونس الوحيد بينهم لا يعرف السباحة وكان يصر على العبور مما يدعو إلى إحضار (جيوب) يملؤه بالهواء من فيه ويستلقي عليه، يرافقه إبراهيم سباحة حتى الضفة الأخرى**(٦٥).

كشف النص عن علاقة الاصدقاء بالمكان وارتباطهم فيه، فهم لا يفارقونه، لكن احداث الرواية ستكشف لنا كيف ان المكان سيصبح فيما بعد طاردا ومعاديا للشخصيات، وهذا التأثير نابع من فرض شخصيات لها نفوذ استطاعت تحويل المكان الأليف الى مكان معادٍ يعتقل كل من يمر في طريقه.

إنّ التأثر بالمكان يعكس الحقيقة النفسيّة للشخصية ؛ فتحدث انتقالة من التأثيرات الخارجيّة إلى الداخلية النفسيّة لها، وهذه لا تقتصر على شخصيّة واحدة محددة ، بل قد تشمل شخصيات كثيرة وفي بيئات مغايرة. " فتكوين الإنسان ذهنياً ونفسياً يتأثر بالمناخ والطبيعة للمكان(٦٦)، " **شعر أن احد ما يتتبعه، وأن هاجسا ما يدعوه إلى تغيير طريقه من الوجهة التي كان يقصدها إلى مكان آخر، وفعلا انعطف من طريقه إلى البيت الذي يسلكه يوميا، ومضى في طريق آخر أكثر أمانا، اتجه نحو السوق الكبيرة حيث كان أبيه لبيع التبوغ وبعد وقوفه بقليل أمام الدكان توقف شخص إلى جانبه وطلب علبة سجائر، وما أن تناولها اخرج قلما من جيبه وكتب على العلبة: احذر البقاء في البيت هذه الليلة.."**(٦٧) ، لقد ترك تحول المكان على الشخصيات اثرا نفسيا سيئا، فالملاحقات التي كانت تطال الشخصيات في البيوت الآمنة جعلتها أمكنة معادية لهم وخلقت علاقة تنافر بعدما كانت الشخصية تنتمي إليها وتشعر بالاطمئنان فيها.

إن الأماكن الضيقة غالبا ما تلقي انعكاسا على الشخصيات الذين يسكنون فيها بالضيق والملل، فالسجن يُعَدُّ من الأماكن الضيقة وله أبعاد محددة، فالشخصيّة في السِّجن مقيدة عن الحرية، فالسجن من الأمكنة التي "تحاصر الشخصية حصاراً مادياً يقاس فيه على مستوى الجسد كفاعليّة حيوية وتصعيد لمفهوم العفوية(٦٨) . " **ألقي في غرفة مظلمة جلس على بلاطها، لم يكن يهمه أي شيء في تلك اللحظة سوى سيجارة يدفئ بها احشاءه ويهدئ نفسه،... تسلل بصيص من الضوء من حافات الباب الحديدي الموصد، وشيئا فشيئا بانت معالم الغرفة وجدرانها الملطخة بالدماء، وأرضيتها المملوءة بالأقذار والاوساخ، تفوح منها روائح البراز والبول والدم المتفسخ، علقت في سقفها حلقة حديدية يتدلى من جوفها حبل غليظ.."**(٦٩) ، نلحظ من وصف المكان الضيق الذي عدّ ليكون سجنا لكل من يفكر بالثورة على الانظمة الدكتاتورية، فمورست فيه على شخصية ايوب الصالح شتى انواع التعذيب، لحمله على الاعتراف على عناصر التنظيم السري، والمكان الذي غيب فيه ايوب لم يكن سجنا مثل سائر السجون، بل هو مكان للإعدام والقتل والتعذيب.

وفي مكان آخر يكشف لنا الروائي عن مديرية الامن التي يفترض ان تحقق الأمن، لكنها كانت تحقق الأمن فقط لمن لهم علاقة بالنظام الحاكم، أما سائر الفئات فيعتقلون لمجرد الاشتباه بهم ، **"في مديرية الأمن سألوا أحمد عن مكان أخيه فأجابهم بعدم معرفته له، كان نائما وقت خروجه من البيت، ثم سألوه عن الأماكن المحتملة لاختبائه فنفى معرفة ذلك، عند ذلك ادخلوه غرفة التعذيب، علقوه بحبل من قدميه بعد أن جردوه من ملابسه وبدأ الضرب المبرح فصولا، وفي كل فصل يسألونه وهو يصرخ ويقول: لا اعلم كنت نائما وقت خروجه، استمروا بتعذيبه حتى سكت وانقطع صراخه، كان جسده ضعيفا لا يحتمل الضرب ... فانتبه احدهم له واوقف الاخرين وتفحصه فوجده قد فارق الحياة.."** (٧٠) ، وهذا النص كشف عن تأثر الامكنة بالشخصيات فنجد ان مديرية الامن اصبحت مديرية للقتل بسبب تأثر المكان بسلوك الشخصيات الاجرامية.

إن الأماكن المفتوحة الواسعة تنعكس أيضاً على نفسية ساكنيها، فالشخصيات التي تعيش في الاحياء الشعبية يتحلون بصفات تختلف عن الذين يسكنون في الاحياء الراقية، وكذلك الشخصيات التي تعيش في القرى والارياف تختلف في اطباعها وأمزجتها عن ساكني المدن.

والمكان يؤثر في تحديد الشخصيّة الروائيّة، فالمكان بما يحتويه من بنايات ومساحات يترك انعكاساً على السلوك العام للشخصية الروائيّة؛ فالشخصيّة الروائيّة تتأثر بكلِّ ما يجري حولها من احداث وبكلِّ ما تراه وتعيشه في المكان، والمكان يشهد حركة وعلاقات اجتماعية حميمية بين الشخصيات، فشكله وما يحتويه من

www.misan-jas.com (Arabic Impact Factor) - 1.1 ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

مداخل ومخارج له دلالة على الشخصيّة التي تعيش فيه، فالروائيّ عندما يصف الأمكنة من مثل البيت فهو في الوقت نفسه يصف الشخصيّات "فبيت الإنسان إمتدادٌ لنفسه، فإذا وصفتَ البيت وصفت الإنسان(٧١). وقد استطاع الروائي أن يوظف المكان المفتوح الذي تجمعه الألفة والمودة " **قاموا بترتيب البيت وتنظيفه قبل وصولهما، وعملوا وليمة من المأكولات العراقية الشهيرة، كانت اختاه قد رحبتا بهما اجمل ترحيب وباركتا لها الزواج وكذلك حنا قريبه، نزل مع عروسه في بيته حيث سكنى عائلاتهم قديما"(٧٢)** من النص نكتشف علاقة الشخصيات بالمكان وارتباطها به .

عند متابعة الحركة التي تقوم بها الشخصية يتولد عند المتلقي شعورٌ واحساس بوجود المكان ، وكلما كان الكاتب مدركاً لعناصر النفسية الداخليّة والخارجيّة للشخصيّة واستطاع توظيف الشخصيات مع الأحداث بنجاح في النص الروائي، شعرنا بوجود أماكن تلك الشخصيّات " فالمكان ليس موصوفاً، أو حتى مقدماً، من طريق الكاتب؛ وإنما تختلف صورة المكان بوساطة حركة الشخصية فيه والحياة به والتعامل معه(٧٣) " فقد **" كانت البيوت واحدة تتسع لكل الاسر، تعيش كأنها أسرة واحدة، يتشاركون الأفراح والهموم والطعام والشراب.."(٧٤) .**

مع كلّ سمات المكان الواقعيّة يجب أنّ نعرف أنّ المكان في الرواية ليس مكانًا جغرافيًا بحتًا، بل هو مكان متخيل ، فالروائي وبقدرته الفنية يستطيع أن يضفي على الحدث والواقع من خياله واحاسيسه ليجعل الواقعية متلائمة مع النص في الرواية او القصة، وحتى الحركة التي تؤديها الشخصيات في الأمكنة داخل الرواية، فهي ليست كما في الواقع، وانما يضفي الكاتب عليها من خياله واحساسه وذوقه، ليولد تفاعلا بين الشخصيّة والمكان(٧٥)

إنّ الروائيّ يتمتع بالقدرة على بناء شخصياته عن طريق الاتصال بمكان حركتها ونموها، فالمكان وحركة الشخصية فيه لم يأتِ عبثاً في النص الروائي، ووظيفته ليست لإيهام المتلقي بالواقع فحسب؛ بل لدلالات ووظائف محددة ، قد تكشف عن ايدلوجية المجتمع والرؤية التي يريد الروائي إيصالها للمتلقي، فالروائي يقدم عالماً أكثر مما يقدم قضية، أو حدثاً أو شخصية .(٧٦)

إن هذه العلاقة بين الشخصية والمكان تحدث عندما يكون بينهما اتصال وتفاعل، ومن هذا التفاعل تتولد علاقة حب للمكان الذي تعيش فيه الشخصيات، بحيث تشعر الشخصية بوجود رابط روحي بينها وبين المكان .

الخـــاتمة

إن الشخصية مهما انتقلت عن موطنها الأصلي، فإنها تظل مرتبطة به، فبين المكان والشخصية يخلق نوع من الألفة، فتظل الشخصية مرتبطة ببيئتها الاجتماعية التي استمدت منه أفكارها وعاداتها وتقاليدها التي تؤثر في سلوكياتها، وتعبر عن هويتها وانتمائها.

إن المكان في رواية (بعد رحيل الصمت) يعد الأرضية التي تكونت منها العلاقات الاجتماعية، كما اسهمت شخصيات الرواية في بناء المكان وجعله حيويًا.

إن الشخصية مهما تعلقت بالمكان واحبته، فبمجرد انتقالها من مكانها تتغير سلوكياتها، فقد تنسجم الشخصية مع المكان، وربما لا تنسجم ، وذلك نظرًا لما تلقاه الشخصية من معاملة، فالعلاقة بين الشخصية والمكان قد تتولد عنها ألفة وحب، خاصة إذا انسجمت الشخصية وألفت المكان، وإن ساءت المعاملة ستشهد العلاقة تغيرًا وفتورًا، وهذا ما يدفعها لانتقاد المكان أو مغادرته .

إن محبة الشخصية للمكان مرتبطة بمزاج الشخصية وصلابتها على تحمل المعاناة، لهذا نجد أن الشخصية وما تحمله من مشاعر خاضعة لأسباب اجتماعية، أو سياسية ، أو اقتصادية، أو دينية أو ثقافية ، أو طبيعية، تفرضها على الشخصية وتساهم في بنائها وانتمائها، وهويتها.

وقد شهدت علاقة الشخصيات بالأمكنة في رواية (بعد رحيل الصمت) تعددًا، منها ما ارتبط بالحالات الشعورية، ومنها ارتباط الشخصية بالمكان ارتباطًا اجتماعيًا يتجلى من طريقه الاثر في تفعيل العلاقة بينهما .

نخلص إلى أن الروائي (عبد الرضا صالح) تميز في روايته بوصف الأمكنة وصفًا دقيقًا، فأستطاع تنسيق الأمكنة وجعلها تتلاءم مع الشخصيات، بحيث نجد

www.misan-jas.com (Arabic Impact Factor) - 1.1 ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

الأمكنة في الرواية محفزة للشخصية ومعبرة عن سلوكياتها وعاداتها وتقاليدها وشعورها، فالشخصية تحب المكان أو تكرهه بحسب ما تجري فيه من احداث.

فالكاتب يوظف كل أدواته الفنية لأجل أن يجعل المكان مناسبا لشخصياته في الرواية، من حيث تعاملها معه، وما تتصف به الشخصية بحسب المكان الذي تحل فيه والذي يترك انعكاسًا على سلوكياتها وأفكارها وعاداتها وتقاليدها وهويتها وانتمائها إليه.

إن دراسة الشخصية الروائية وتأثرها بالبنية المكانية من أهم الدراسات في السرد ؛ وذلك للعلاقة بين الشخصية والمكان والاثر النابع من تلك العلاقة.

وقد استطاع الروائي من وضع سمات خاصة لشخصياته؛ من طريق المميزات التي تميزت بها البيئة الجنوبية، لتحديد «الشخصية الجنوبية» في روايته « بعد رحيل الصمت » التي تحتفي بالشخصية التي كونها المكان .

ويعتمد صالح على الوصف الطويل لهذه البيئة الجنوبية وأعرافها وتقاليدها وعاداتها، التي من طريقها استطاع بناء شخصياته. كما كان شديد التركيز على إيراد التفاصيل الدقيقة للواقع اليومي في الأمكنة المتمثلة بالأزقة القديمة لمدينة العمارة، في محاولة منه لتمييز هذه البيئة عن غيرها من البيئات الأخرى.

الهوامش

١. تقنيات السرد في عالم علي بدر الروائي: اشراق كامل ، رسالة ماجستير ، ٢٠٠٩، ص ١١٤

٢. ينظر : بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء للطبعة والنشر ط٢، ٢٠٠٩، ط٢،ص ٢١٣

٣. تقنيات السرد من منظور النقد الروائي ، اشواق عدنان شاكر ، دار الجواهري ط١ ٢٠١٤، ص٨٦

٤. ينظر: إ.م فورستر: اركان الرواية ، تر موسى عاصي ،١٩٩٤، ص ٥٨

٥. ينظر عالم الرواية ، تر نهاد التكرلي، دار الشؤون الثقافية، ط ١، ١٩٩١ ، ص١٤٣

٦. ينظر المصدر نفسه ص ١٥٨

٧. ينظر بنية الشكل الروائي ، مصدر سابق ، ص ٢٤٩

٨. الشخصية والواقع في رواية الحفيدة الامريكية، د. سرى احمد صالح ود. محمد صائب خضير، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، عدد خاص بالمؤتمر العلمي الافتراضي الاول لكلية التربية الاساسية (البحث العلمي في ظل الجوائح والازمات تحديات الواقع وافاق المستقبل) ٢٠٢٠، ص٢١٩.

٩. رواية بعد رحيل الصمت: عبد الرضا صالح ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت،٢٠١٤، ص ١٩

١٠. الرواية ص ٢٠

١١. الرواية ص٢٥

١٢. الرواية ص٢٩

١٣. الرواية ص٣٦

١٤. الرواية ص ٤١

١٥. الرواية ص٤٩

١٦. الرواية ص٧١

١٧. الرواية ص٩٤

١٨. الرواية ص١٢٤

١٩. الرواية ص١١٢

٢٠. الرواية ص ١٨٥

٢١. الرواية ص ٢٠

٢٢. الرواية ص٤٣

٢٣. الرواية ص٨٥

٢٤. الرواية ص ١٥

٢٥. الرواية ص١٤٤

٢٦. الرواية ص ١٦

٢٧. الرواية ص ٢٥

٢٨. الرواية ص ٢٠٨

٢٩. تمظهرات السخرية في الرواية العراقية (رواية قياموت إنموذجا) د. رعد هوير سويلم، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، عدد خاص بالمؤتمر العلمي الافتراضي الاول لكلية التربية الاساسية (البحث

www.misan-jas.com (Arabic Impact Factor) - 1.1 ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

العلمي في ظل الجوائح والازمات تحديات الواقع وافاق المستقبل) ٢٠٢٠ص٦٤٤.

٣٠. بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي: حميد الحمداني ، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع ط ٣ ٢٠٠٠ ص٦١ ، جماليات المكان في الرواية السعودية، اطروحة دكتورة ، حمد بن سعود، ص ٢

٣١. الفضاء الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا : الدكتور ابراهيم الجنداري، دار الشؤون الثقافية ، ط١، ٢٠٠١، ص ١٧٤

٣٢. المصدر نفسه ص١٨٤

٣٣. المصدر نفسه ص ٢١٦

٣٤. المصدر نفسه ، ص١٦٧

٣٥. جماليات المكان: غاستون باشلار ، ترجمة غالب هلسا ط٢ ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ص٣١

٣٦. المكان ودلالته : رحيم جمعة ، اطروحة دكتوراه، كلية الاداب جامعة بغداد، اشراف د جميل نصيف التكريتي ٢٠٠٣ ص٨١

٣٧. الفضاء الروائي مصدر سابق: ص ٢١٧

٣٨. ينظر : جماليات المكان في الرواية العربية : شاكر النابلسي، ص ٧٤ – ٧٥

٣٩. ينظر : الرواية والمكان : ياسين النصير ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ٣٠.

٤٠. ينظر: البناء الفني للرواية العربية في العراق: شجاع مسلم ،اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد كلية الآداب، ص ٢٦٠

٤١. ينظر المكان ودلالته : مصدر سابق، ص ٨٠ .

٤٢. المكان والزمان في النص الادبي الجماليات والرؤيا : د .وليد نعاس، تموز للطباعة والنشر، ط١، ٢٠١٤،ص١١٣

٤٣. ينظر : بنية الشكل الروائي : مصدر سابق، ص٤٠

٤٤. رواية بعد رحيل الصمت، ص ٩

٤٥. الرواية ص ١٠

٤٦. الرواية ص ١٦

٤٧. الرواية ص ٨٧

٤٨. الرواية ص ٧٥

٤٩. الرواية ص ٩٧

٥٠. الرواية ص ١١٤

٥١. الرواية ص٥٠

٥٢. الرواية ص٥٣

٥٣. الرواية ص ٥٩

٥٤. الرواية ص ٦٤

٥٥. الرواية ص ١٠٤

٥٦. الرواية ص ١٢٣

٥٧. الرواية ص ١٢٨

٥٨. الرواية ص١٥٠

٥٩. الرواية ص١٧٤

٦٠. الرواية ص١٧٢

٦١. الرواية ص١٧٩

٦٢. جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا: أسماء شاهين المؤسسة العربية للدراسات، بيروت،٢٠٠١، ص١٧.

٦٣. الرواية ص ٩.

٦٤. المكان في الرواية العربية، غالب هلسا مجلة الآداب، بيروت، العدد ٢-٣، ١٩٨٠، ص ٧٣.

٦٥. الرواية ص ١١.

٦٦. قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر، صلاح صالح، دار شرقيات للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٧، ص ١٣١.

٦٧. الرواية ص ٥٣

٦٨. الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم: مصدر سابق، ٢٤٢.

٦٩. الرواية ص ١٨١.

٧٠. الرواية ص ١٧٤.

٧١. نظرية الأدب: ويليك، رينيه، وأوستين وارين ، ترجمة: محيي الدين صبحي، ص ٢٨٨

٧٢. الرواية ١٠١.

٧٣. الحداثة والتجسيد المكاني: حافظ، صبري، مجلة فصول، العدد ٤، ١٩٨٤، ص ١٧٢.

www.misan-jas.com (Arabic Impact Factor) - 1.1 ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

٧٤. الرواية ص ١٦

٧٥. الرواية والمكان: ياسين النصير، ج٢، وزارة الثقافة، بغداد، ١٩٩٥، ص ١٦

٧٦. دلالة المكان في مدن الملح لعبد الرحمن منيف: محمد الشوابكة مجلة أبحاث اليرموك، مج٩ ، ع ٢، ١٩٩١، ص ١٧.

المصادر

١. إ.م فورستر: اركان الرواية ، تر موسى عاصي، دار جروس برس، لبنان، ١٩٩٤.

٢. باشلار، غاستون، جماليات المكان ، ترجمة غالب هلسا ط٢ ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٤.

٣. بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء للطبعة والنشر ط٢، ٢٠٠٩.

٤. البليهد ، حمد بن سعود، جماليات المكان في الرواية السعودية من١٣٩٠-١٤٢٣هـ، اطروحة دكتورة، جامعة محمد بن سعود الاسلامية ، كلية اللغة العربية، السعودية.

٥. بورناف، رولان اوئيليه، عالم الرواية ، ترجمة نهاد التكرلي، دار الشؤون الثقافية، ط ١، ١٩٩١ .

٦. الجنداري، ابراهيم، الفضاء الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا ، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، ٢٠٠١.

٧. حافظ، صبري الحداثة والتجسيد المكاني: ، مجلة فصول، العدد ٤، ١٩٨٤.

٨. الحربي، رحيم علي جمعة ، المكان ودلالته في الرواية العراقية ، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب جامعة بغداد، اشراف د جميل نصيف التكريتي ٢٠٠٣

٩. شاكر، اشواق عدنان، تقنيات السرد من منظور النقد الروائي ، دار الجواهري ط١ ٢٠١٤.

١٠. الشوابكة، محمد، دلالة المكان في مدن الملح لعبد الرحمن منيف، مجلة أبحاث اليرموك، مج ٩، العدد ٢، ١٩٩١.

١١. صالح، د. سرى احمد ود. محمد صائب خضير، الشخصية والواقع في رواية الحفيدة الامريكية، ، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، عدد خاص بالمؤتمر العلمي الافتراضي الاول لكلية التربية الاساسية (البحث العلمي في ظل الجوائح والازمات تحديات الواقع وافاق المستقبل) ٢٠٢٠.

١٢. صالح، صلاح، قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر، دار شرقيات للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٧.

١٣. العاني، شجاع مسلم ، البناء الفني للرواية العربية في العراق ، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٤ .

١٤. كعيد، اشراق كامل ، تقنيات السرد في عالم علي بدر الروائي ، رسالة ماجستير، كلية الاداب جامعة بغداد ، ٢٠٠٩.

١٥. لحمداني، حميد، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع ط ١ ١٩٩١.

١٦. محمد، عبد الرضا صالح، بعد رحيل الصمت (رواية) ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت،٢٠١٤ .

١٧. النابلسي، شاكر، جماليات المكان في الرواية العربية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٤،

١٨. النصير، ياسين الرواية والمكان: ، ج٢، وزارة الثقافة، بغداد، ١٩٩٥.

١٩. النصير، ياسين، الرواية والمكان ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، ١٩٨٠.

٢٠. نعاس، د. وليد شاكر، المكان والزمان في النص الادبي الجماليات والرؤية ، تموز للطباعة والنشر، ط١، ٢٠١٤.

٢١. هلسا، غالب، المكان في الرواية العربية، مجلة الآداب، بيروت، العدد ٢-٣، ١٩٨٠.

٢٢. ويليك، رينيه، وأوستين وارين، نظرية الأدب: ، ترجمة: جميل نصيف التكريتي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، دار الرشيد، ١٩٨٠ .

23. Sweilem, Raad Hoyer, Manifestations of Irony in the Iraqi Novel (Qiama'moot Novel as a Model), Missan Journal of Academic Studies, special issue of the First Virtual Scientific Conference of the College of Basic Education (Scientific Research in Light of Pandemics and Crises: Challenges of Reality and Future Prospects) 2020.